الأمبراطورية على أوربا زهاء عشرة أعوام

وقد رأينا كيف اجتمعت أوربا الغربيـة ، وفى مقدمتها انكلترا ، أثناء الحرب الكبرى ، لتحطيم العسكرية البروسية ، التى وثبت تهدد العالم بأطماعها الجائشة فى السيادة والاستعمار ، وكيف لقيت مصرعها بعد حرب كانت أروع ما شهد التاريخ

والآن يبدو الخطر الفاشستى فى الأفق ، وتنذر العسكرية الفاشستية الجامحة بتحطيم التوازن الأوربى فى شرق أوربا وفى وسطها ، وتتحدى بالأخص سيادة انكلترا البحرية فى البحر الأبيض ؛ وقد زادها انتصارها فى الحبشة زهوا وتحديا ، فهل تصبر أوربا ، وهل تصبر انكلترا بنوع خاص حتى يتفاقم الخطر الفاشستى كما تفاقم الخطر البروسى قبيل الحرب ؟ هذا ما لا نعتقد ، وفى يقيننا أن الامبراطورية البريطانية تتأهب لخوض ذلك الصراع التقليدى الذى حرصت دائماً على خوضه لتحطيم ذلك الطغيان العسكرى الجديد الذى يهدد سيادتها ومصالحها الحيوية فى البحر الأبيض وفى شرق أفريقية ، وإذا كانت السياسة البريطانية ما زالت تبدى بعض الفتور والتردد فى العمل الحاسم فذلك لأن مضمار الحرب والتسليحات الحديثة قد اتخذت وجهة جديدة ، ولم تعد السيادة البحرية وحدها كافية لأن تملى بريطانيا كلمتها ؛ ومن تقاليد بريطانيا المأثورة أنها لا تتعجل الحوادث ، ولا تسارع الى قبول التحـدى الطائش ؛ وبريطانيا تزن اليوم أقدار الحرب والنضال بميزان جديد لم تستقر عوامله بعد ؛ وقد يمضى وقت آخر قبل أن تنزل بريطانيا الى ميدان العمل الحاسم

قد تستطيع الفاشستية الجامحة فى نشوة ظفرها المزعوم ، أن تزعج أوربا وانكلترا ، مدى حين بمشاريعها ووعيدها ؛ ولكن الفاشستية تخطىء بلا ريب إذا هى اعتقدت أن الظفر ميسور فى ميادين أخرى غير الحبشة ، وأنها تستطيع فى مكان آخر من أوربا ، أو افريقية ، أن تستعمل وسائلها العسكرية المجرمة فى تحقيق أحلامها الرومانية ، دون عقاب أو وازع ؛ وهنالك حقيقة لا ريب فيها ، وهى أن الفاشستية قد بثت بمسلكها وغرورها ووعيدها مخاوف ما كان اغناها عن بثها ، وأنها سترغم بلا ريب ، فى القريب العاجل ، على خوض الصراع الحاسم ؛ وليس من ريب فى أنها ستسحق فى هذا الصراع ، كما سحقت كل عسكرية أوربية جامحة من قبلها

* * *

امتزاج الاحاسيس

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

قال المتنبى :

والذل يظهر فى الذليل مودة وأود منـــه لمن يود الأرقم

وأحسب أن المتنبى إنما أراد أن يصف الذليل المداجى الذى يظهر المودة ويخفى الضغينة والعداء ، فيتودد ويتذلل حتى ينـال من خصمه . وهذه صفة شائعة فى ذوى الكيد والمكر والدهاء . ولكن هناك صفة أخرى فى النفس الانسانية تشبه هذه الصفة بعض الشبه ، وهى صفة المحبة والمودة التى يحسها الخائف إحساساً حقيقياً لا مداجاة فيه إذا عجز عمن يخاف منه وألف الخوف فأزالت ألفة الخوف غلواءه ، وأزالت الرغبة فى التخلص منه ، وأبعدت هى والعجز أمل الانتقام من أجله ، فتحول ارادة المحافظة على الحياة ذلك الخوف المألوف محبة أو مودة تحاول بها نيل الزلفى لدى الانسان المخوف من طريق الاحساس الصادق بالمحبة أو المودة ، وتحاول أن تسل بها من قدرة المخوف حمة البغض وسم الضغينة ، لأن ارادة المحافظة على الحياة تعلم أن مودة الرياء ومحبة النفاق قد لا تقنع ، وقد تنكشف ويشف ثوب الرياء عما تحته فينال الخائف المرائى شراً إذا انكشفت مداجاته وعرفت مداهنته ، ومن أجل ذلك تبالغ إرادة المحافظة على الحياة فى الحيطة والحذر ، فتحول الخوف من الانسان المخوف الى حب له أو مودة كى تقنعه وتتقى بوادر شره ، وهى أيضاً تحاول أن تقنع بتلك المودة نفس من يحسها ، وتفهمها أن لا داعى لليأس من الحياة كى لا يرهقها الخوف واليأس ؛ وهذا أمر مشاهد إذا قرأ الانسان سفر الحياة وتقصى البحث فى تكوين النفوس

وهذه المحبة قد تزول وقد تبقى بعد زوال أسباب الخوف ، وقد تقوى أواصرها بعد الرهبة ولا سيما إذا حلت الرغبة مكان الرهبة ، ووجدت النفس منفعة دنيوية أو نفسية لها عند من زالت أسباب الخوف منه ؛ وقد تنقلب تلك المحبة إذا زالت أسباب الخوف مقتاً ورغبة فى الانتقام ، فيحسبها الباحث أنها لم تكن إلا مداهنة ونفاقا ، وهى قد تكون ذلك ، وقد تكون كما شرحنا محض المودة والشعور الصادق بها ، لأن احساسات

النفس تمتزج وتتحول وتتشكل أشكالاً وتتلون ألواناً فى السرائر ، فكأن فى النفس البشرية سر الكيمياء الذى حاول الكيميائيون فى القرون الوسطى معرفته كى يتمكنوا من تحويل معدن إلى معدن ، فهذا التحول الذى وصفناه من كيمياء النفوس فى معامل السريرة الخفية

وكما أن امتزاج الخوف والمحبة يشاهد فى الأضداد البعداء من قوى مسيطر وضعيف ذليل ، إذا تهيأت للأول أسباب القوة من جاه أو مال أو صحة ، وخذلت تلك الأسباب الذليل الضعيف وقهرته على أن يعتمد على صاحب المال أو الجاه ، فذلك الامتزاج يشاهد أيضاً فى نفوس الأصدقاء والأوداء والأحباء والأقرباء . فكم من امرأة تحب زوجها حباً صادقا أساسه الخوف منه ؛ وكم من رجل يحب زوجه حباً صادقا يخالطه الخوف ؛ وكم من قريب يود قريباً ، وصديق يود صديقاً ودا تمازجه الرهبة أو الخشية

وإذا تقصينا البحث وجدنا ماهو أعجب من ذلك ، فقد يمتزج البغض والحب فى النفوس ، فقد يبلغ العاشق منزلة من العشق تشرف على البغض والمقت لمن يعشق ، وقد تتذبذب نفس العاشق بين الحب والبغض أو قد تجمعهما فى وقت واحد ، فهى تارة تريد الخير لمن تحب ، وتارة تريد الشر ، وتارة تجمع بين إرادة الخير وإرادة الشر — ويمتزج الأخاء والجفاء فى نفوس الأصحاب ، ويمتزج الاحترام والاحتقار فى نفوس الجلساء والمتعاشرين ، كما يمتزج الحب والبغض فى نفوس العشاق ، أو كما يمتزج الخوف والود فى نفوس الضعفاء ، فترى الصاحب أو الجليس يبالغ تارة فى إخائه لصاحبه وجليسه ومعاشره ويكثر من إكرامه وإجلاله ، وتارة يظهر له الجفاء وقلة الاكتراث أو العبث به أو الحط منه ، وتارة يجمع فى مجلسه بين النقيضين

وكل إنسان يشتكى هذه الصفة فى النفوس ، ولكل إنسان نصيب منها قل أو كثر وإنما يفطن إلى ما فى نفوس الناس ولا يفطن إلى نصيب نفسه منها . وينقسم الناس فى تدبر هذه الصفات ثلاثة أقسام : أناس يأبون الرضاء بها فيعتزلون الناس ما استطاعوا إلى العزلة سبيلاً ؛ وأناس ينقدونها ويودون لو تكون النفوس على حال واحدة ، ولكنهم يعرفون استحالة هذه الودادة فيقنعون بما هو مستطاع من النفس والحياة ، وأناس لا يرون إعنات أنفسهم بالسخط على هذه الصفات النفسية ، ومنهم من يرى فى تلون نفوس الناس وتقلبها وجمعها بين النقيضين رحمة أو تفكهة أو اراحة وترفيهاً ، ويعقتون من لا يعاشرهم على هذه الخلال ، وربما كان فى قولهم شىء من الحق والصواب ، وربما كنا نزهد فى الحياة لو كانت نفوس الناس على حال واحدة لا تتغير ، فان الحال التى لا تتغير مدعاة السأم والملل كسأم الذى يعيش فى مكان قفر موحش لا يرى منه إلا مظهرا واحداً لا يتغير فى أرضه أو سمائه

ولعل من أشد العقوبات وأقساها أن يحكم على انسان ألا يأكل طول حياته غير السُّكَّر ، فهو قد يشتهيه فى أول الأمر ، فاذا طال به العهد اعتراه السأم والملل ؛ وكذلك ربما كان الجفاء مدعاة إلى التمتع بالأخاء ، وقلة الاكتراث مدعاة إلى التنعم بالاكرام ، والبغض حافزا إلى استمراء الحب ، كما أن اللذة لا يحسها إلا من يستطيع الاحساس بالألم . وهذه فلسفة لا شك فيها ، ولكن الكثير من أمزجة النفوس تأباها ، إما لأنها مرهفة الحس فلا تنسيها اللذة الألم والأخاء الجفاء ، وإما لأنها إذا أحست ألماً أو عانت جفاء أو قاست عداء لا تطمئن إلى زواله ، وقد تستبطىء زواله فيدركها اليأس والحزن

والحزن من تقلب النفوس وتلونها واختلافها نفساً عن نفس وحالا عن حال كثيراً ما يدرك الشاب القليل الخبرة بالحياة والنفس الانسانية ، فهو لغرارته يحسب أن الحياة على مثل واحد يرتضيه ، وأن النفس على خلة واحدة يحمدها ، فاذا فطن إلى تقلب النفوس وتذبذبها وقلة استقرارها وجمعها بين الاضداد ، وإذا راعه كل ذلك بسبب غدر صديق أو جفاء جليس أو عبث عشير أو شر رفيق أو كيد أليف أو بغض حبيب كاد ينفطر قلبه أو كادت تنهار دنياه ، ولكن أكثر الشبان يستطيعون إذا طال بهم العمر ومد لهم فيه أن يوفقوا بين الحياة وبين مثلهم الأعلى ، أو تطغى الحياة وما تدعو اليه على مثلهم الأعلى فتمحوه ويصير كل منهم فى مودته مثل مقياس الحرارة (الترمومتر) ، فتارة ترتفع مودته إلى درجة الغليان ، وتارة تنخفض إلى ماهو تحت الصفر من درجات البرودة . وقس على المودة غيرها من الاحساسات

وإنما تصلح الحياة وترقى وتملح إذا لم يمح تذبذب النفوس المُثُل العليا منها . وخير خطة للمرء ألا يحزنه تقلب النفوس واختلاط خلال النفس ، وألا يدع هذا الاختلاط والتذبذب يطغيان على كل شعور نبيل ، فيجمع بين الاطمئنان ونشدان المُثُل العليا إذا استطاع ذلك

عبد الرحمن شكرى